

دراسات سياسية في الشجرة النبوية

# صَلَاةُ الْحَكِيمِ

وَأَبْعَادُهُ السِّيَاسِيَّةُ الْمَعَاصِرَةُ

قال الحافظ ابن عبد البر:

ليس في غزوات الرسول ما يعدل بدرًا، أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية.

محمد شعبان

تأليف

دكتور عبد الحكيم الصاوي الفيتوري

باحث إسلامي وأستاذ جامعي

دار المسدي

الطبعة الأولى - لندن ٢٠٠٣ م

الطبعة الثانية - جامعة الخرطوم ٢٠٠٥ م

الطبعة الثالثة - دار المدني السعودية ٢٠٠٥ م

## مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا كما يحبه ويرضاه ، على فضله وكرمه وجزيل عطاياه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي اختاره واصطفاه ، والذي أرسله بكتابه المبين رحمة للعالمين ، وجعل سيرته قدوة للناس أجمعين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه السائرين على هديه إلى يوم الدين . أما بعد :

فهذه الكلمات لم تكتب في أجواء الترف الذهني ، والعيش في ظلال الملك العاض أو الملك الجبري حيث كانت للمسلمين الصولة والجولة !! وإنما كتبت وانطلقت أولى كلماتها في ظلال واقع أول حركة إسلامية معاصرة تبرع على قمة نظام دولة عربية كانت تعيش في حماية العلمانية منهجا ودستورا ، وتعيش في الأرض فسادا !! وفي هذا الظل المليء بالبراكين السياسية المتوقدة ، والألغام الدولية المنتشرة ، والتحديات الصعبة على صعيد الشكل والمضمون ، الداخلي والخارجي ، الإقليمي والدولي ، تمت كتابة هذه النظرة السياسية لواقعة الحديبية بأبعادها السياسية والاستراتيجية.

وفي هذه الأجواء والمتابعات السياسية رأيت أن أقدم لقيادة الأمة الإسلامية بعض النظرات السياسية ، والتأملات الحركية في واقعة من وقائع السيرة النبوية العطرة لتكون جسرا بينها وبين الدعوة الإسلامية الأولى بقيادة رسول الله ﷺ ، وربطها وتأصيلها للحديد من السياسة بالعتيق مضمونا ومعنى وليس شكلا ؛ نظرا لتغير الإنسان ، والمكان ، والزمان ، وتجديدا للصلة

الاستدلالية بين أبناء الأمة الإسلامية والمصادر النصية من القرآن والسنة  
والسيرة التطبيقية ؛ التي لها من التأثير الإيجابي على أبناء الأمة الإسلامية ما ليس  
لغيرها من أقوال معاصري زمان الملك الجبري والملك العاض .

ولا ريب أن الأمة الإسلامية المعاصرة تعيش أجواء سياسية وأمنية  
ضاغطة ، حيث تعاني تحديات داخلية ، وصراعات خارجية ، تحديات  
وصراعات داخل الصف الإسلامي وخارجه وتمثل تلك التحديات  
والصراعات في عدم خلوص كثير من قيادات الدعوة الإسلامية من العقلية  
التقليدية التعصبية ، وعدم إنفكاكها من العيش في ظلال الملك العاض والملك  
الجبري إلى قراءة الواقع المرير الذي تعيشه قراءة صحيحة وتكليف وضعها  
حسبما يقتضيه الزمان والمكان والإنسان المعاصر وفق الضوابط الشرعية  
والقواعد المقاصدية .

أضف إلى ذلك جمود بعضها عند المفهوم الضيق للتدين والعقلية  
المسجدية وعدم تطوير نفسها نحو عقلية الحكم وقيادة الأمة ، والارتقاء بها من  
منطق الجماعة إلى منطق الدولة استضعافا واستخلاقا ، مما جعل كل ذلك  
حاجزا لقيادات الأمة الإسلامية التغييرية من التحرك نحو تغيير الواقع السياسي  
والاجتماعي ، والتفاعل معه على المستويات الإقليمية والدولية كافة ،  
وتخاذ المواقع المتقدمة في ساحات العمل والتغيير ، والتحكم في وسائل  
ومفاصل تغيير المجتمعات ، حتى أصبحت سمة بعض قيادات الأمة الإسلامية

سمة الرفض السلبي لكل ما هو جديد في ساحات العمل السياسي وقضاياه  
المطروحة على الصعيدين الإقليمي والدولي .  
وفي هذه الأجواء ، والأوضاع ، والاشكاليات السياسية والحركية  
أقدم هذه القراءة السياسية لواقعة الحديبية بأبعادها ومضامينها السياسية لقيادة  
الأمة الإسلامية التغييرية التي تسعى لقيادة العالم بشرع الله سبحانه ، فلعلها  
تجد فيها بعض الإشارات والتنبيهات والاجتهادات التي تعينها على المضي نحو  
الانفتاح السياسي ، وفتح مناطق حرة للثقافة والاجتهاد ، وكسر الحاجز  
النفسي الذي منيت به في كثير من المواقع الداخلية والخارجية ، فإن لم تجد  
فيها هذا ولا ذاك ، فنأمل أن تجد فيها عناوين سياسية تحتاج لمزيد من البحث  
والتأصيل والنقاش ، والدراسة النظرية والتطبيقية .

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

المقدمة : تناولت فيها أسباب وأجواء كتابة هذه الدراسة .

المبحث الأول : نص صلح الحديبية :

قمت فيه باستقراء متن نص واقعة الحديبية في كتب السنن ،

والسير ، والمغازي .

المبحث الثاني : الحديبية بأبعادها السياسية :

تناولت فيه عشرة أبعاد تدور كلها في فلك النظرية السياسية

ومضامينها الحركية ، وهي كالتالي :

البعد الأول : تقرير مبدأ الحوار .

البعد الثاني : تقرير مبدأ تعظيم حرمان الله .

- البعد الثالث : تقرير مبدأ التفاوض .
- البعد الرابع : تقرير مبدأ المصالحة .
- البعد الخامس : تقرير مبدأ الهدنة .
- البعد السادس : تقرير مبدأ المخالفة .
- البعد السابع : تقرير مبدأ عقد اتفاقيات أمنية متبادلة .
- البعد الثامن : تقرير مبدأ الاعتراف المتبادل والانفتاح على العالم .
- البعد التاسع : تقرير مبدأ توقيع اتفاقيات إعلامية .
- البعد العاشر : تقرير مبدأ مراعاة المقاصد الكلية في السياسة الشرعية .

### المبحث الثالث : مفاهيم في السياسة الشرعية .

تناولت فيه مفاهيم سياسة التحالف ، والمعاهدة والصلح ، وتعريف المصلحة والقوة في إطار الدولة ، وأخيراً مفهوم الدبلوماسية .

### خاتمة الدراسة .

وبعد ... على الرغم من أنني أقر بأن هذا جهد المقل ، ولكن أرجو من الله سبحانه أن يجعله لبنة في ذلك الصرح الشامخ ؛ صرح العمل السياسي المعاصر الذي يسعى نحو قيام الدولة الإسلامية العادلة التي تستظل بعدها البشرية كافة ، فما كان فيه صواباً فمن عند الله ، وما كان فيه خطأً فنرجو أن يكون دائراً في فلك الاجتهاد والأجر الواحد .

## المبحث الأول نص صلح الحديبية

انطلاقاً من هذه المفاهيم يمكننا أن نتناول صلح الحديبية بأبعاده السياسية والاستراتيجية في إطار الدولة بغيرها ، كنموذج تطبيقي لنظرية العلاقات الدولية الإسلامية ، وهذا نص الواقعة كما جاء في كتب السنن والتاريخ والسير .

توجه ﷺ حسب الاستراتيجية السياسية العسكرية صوب (دولة) قريش عاصمة الشرك ، والعدو التقليدي للدولة الإسلامية آنذاك ، ( فخرج رسول الله ﷺ ومعه خمسمائة وألف رجل ، وسبعون بدنة ، في تظاهرة إسلامية تبرز قوة المسلمين في أرجاء الجزيرة العربية ، خاصة بعد فشل غزوة الأحزاب ، وكانت قريش قد فطنت لهذه المعاني عندما منعت المسلمين من دخول مكة وأداء العمرة ، وكان الرسول ﷺ يتوقع أن تصده قريش وقد تقاتله

لذلك أراد أن يخرج بأكبر عدد من المسلمين ، فاستنفر أهل البوادي من الأعراب فأبطاءوا عليه فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ، وقد سجل القرآن الكريم على الأعراب هذا الموقف الضعيف بقوله تعالى : { سيقول لك المخلفون من الأعراب خفلنا أموالنا وأهلونا ، فاستغفرونا لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا ، إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم نفعاً ، بل كان الله بما تعملون خبيراً ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وذين حظك

ففي قلوبكم وظننته ظن السوء وحننته قوماً بؤراً { . (الفتح: ١١-١٢) ونظراً لتوقع الشر من قريش فإن المسلمين أخذوا معهم سلاحهم فكانوا مستعدين للقتال ) . (١)

قال الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه : ( خرج رسول الله ﷺ ومعه ألف وثمانمائة رجل وسبعون بدنة ، فأحرم رسول الله ﷺ ومن معه من ذي الحليفة ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وساق أبو بكر بدنا ، وطلحة بدنا ، وسعد بن عباد بدنا . وبعث عينا له من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه ) . (٢)

وفي رواية أخرى قال له : ( فسر إلى مكة فلتسمع أخبار قريش وانظر ما هم فاعلمون ، ثم تعود إلي يكسبك الله بذلك أجراً ) . (٣)

فلما بلغ رسول الله ﷺ غدير عسفان ذات الأشطاط لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله : هذه قريش سمعت بك وخرجت قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم .

فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو نخلوا بيني وبين سائر العرب ! فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن

---

١- المجتمع المدني في عهد النبوة ، للدكتور أكرم ضياء العمري منشورات الجامعة الإسلامية : ١٢٨

٢- موسوعة السنة ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : (غزوة الحديبية) المجلد الثاني : ٦١/٥

٣- الإصابة ، لابن حجر : ٢٥٠/١

أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وآووني ، والله لا أزال أحامد  
على الذي بعثني الله عليه حتى يظهرني الله . (١)

وفي رواية البخاري : فقال ﷺ: أشيروا أيها الناس علي ، أتسرون أن  
أميل إلى عيالم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن  
يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين وإلا تركناهم محروبين . (٢)

قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت ، لا تريد قتل  
أحد ، ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، قال : امضوا  
على اسم الله . ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهرني الحمض على  
طريق يخرج على ثنية المرار مهبط الحديدية ، فلما بلغ ثنية المرار بركت ناقته ،  
فقالوا : خلأت القصواء !! فقال : ما خلأت القصواء وما هو لها بخلق ،  
ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . والله لا يدعوني قريش اليوم إلى خطبة  
يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . (٣)

فتزل في قلب من تلك القلب فغرز في جوفه ، فحاش بالروء حتى

ضرب الناس بعطن . (٤)

١- انظر مسند الإمام أحمد : ٣٢٣/٤

٢- موسوعة السنة ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة الحديدية ) المجلد الثاني : ٦٧/٥

٣- موسوعة السنة ، سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ( في صلح المدو ) ، المجلد التاسع : ٢٠٢-٢٠٠/٣

٤- مختصر سيرة الرسول ﷺ ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دار السلام ، الرياض : ١٦٠

ثم قال للناس : انزلوا ، فقالوا : يا رسول الله ! ما بالوادي ما يتزل عليه الناس ، فأخرج رسول الله ﷺ سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال له رسول الله ﷺ كقوله لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، إنما جاء زائرا لهذا البيت ، فقالوا : وإن جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة ولا تتحدث بذلك العرب (١).

ثم بعثوا مكرز بن حفص بن الأحنف أحد بني عامر ابن لوي ، فلما رآه النبي ﷺ قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه رسول الله ﷺ بنحو ما كلم به أصحابه - أي رجال خزاعة - فرجع إلى قريش وأخبرهم بذلك . فبعثوا إليه الخليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتأهون - أي يعبدون الاله - فابعثوا الهدي في وجهه ، فلما رأى الهدي يسير عليه من عرض الوادي في قلاته قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، قد رأيت ما لا يحل صده ، الهدي في قلاته قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، فقالوا : اجلس لا علم لك (٢).

وفي رواية الطبري : قالوا له : اجلس ، فإنما أنت رجل أعرابي لا علم

لك !! (٣)

١- انظر : المغازي النبوية ، للإمام الزهري ، تحقيق د . سهيل زكار ، دار الفكر : ٥٢

٢- انظر : المرجع السابق : ٥٤ ، والروض الأنف ، للسهيلي : ٢٦/٤

٣- انظر : تاريخ الرسل والملوك ، لابن جرير الطبري : ١٥٤٣/٤

وبعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ، وحمله على جمل يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة أرادت قريش قتله فمنعه الأحابيش !! حتى أتى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليعتبه إلى مكة ، فقال : يا رسول الله ! إني أخاف قريشا على نفسي وليس لي بها من بني عدي بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان !!

فدعاه رسول الله ﷺ وبعثه إلى قريش ليخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة ، فخرج عثمان بن عفان حتى أتى مكة ، فلقه أبان بن سعيد بن العاص فتر عن دابته وحمله بين يديه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، وانطلق حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به .

فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال

عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ثم رجع عثمان (١).  
وفي رواية الطبري : ( فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .. فلما بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل ، قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ) . (٢)

١-انظر : الرحيق المختوم ، للمباركفوري ، دار الفكر ، بيروت : ٣١١-٣١٣

٢-تاريخ الرسل والملوك ، لابن جرير الطبري : ١٥٤٣/٤

جاء في رواية البخاري : ( فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أ رأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإني والله لا أرى وجوها ، وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفرّوا ويدعوك !!

فقال له أبو بكر : امصص بظر اللات ، أنحن نفر عنه وندعه !!؟  
فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده ، لو لا يد كانت له عندي لم أجرك بما لأجبتك ) !! (١)

وفي رواية أبي داود : ثم أتاه - يعني عروة ابن مسعود - فجعل يكلم النبي ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف ، وعليه المغفر ، فضرب يده بنعل السيف وقال : آخر يدك عن لحيته ، فرفع عروة رأسه !!

فقال : من هذا ؟ قالوا المغيرة بن شعبة ، قال : أي غدر ، أولست أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم . (٢)

قال ابن الأثير : فقام رجل منهم يقال له : مكرز بن حفص ، فقال : دعوني آته ، فقالوا : آته ، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ : هذا مكرز بن حفص وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ (٣)

١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٦٧٦/٥

٢- موسوعة السنة ، سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : ( في الصلح مع العدو ) المجلد

التاسع : ٢٠٨/٣-٢٠٩

٣- جامع الأصول في حديث الرسول ، لابن الأثير : ٢٩٠/٨

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أنحا بني عامر بن لؤي ، إلى رسول الله ، وقالوا له : ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فو الله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله مقبلا ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينما الصلح . (١)

قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو ، فقال : هات اكتب بيننا وبينك كتابا ، فدعا النبي ﷺ الكاتب . فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فقال : يا رسول الله ! أألسنت برسول الله ؟ أولسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله . ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم !!

وقال رسول الله : اكتب باسمك اللهم ! هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله اسمك واسم أبيك !! فقال رسول الله ﷺ : اكتب محمد بن عبد الله !! (٢)

١- انظر : المغازي النبوي ، لابن شهاب الزهري ( مرجع سابق ) : ٥٤ .  
٢- قال الزهري : وذلك لقوله ﷺ لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها ( انظر المغازي النبوية ، للزهري )

هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن بهذا الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابهم بغير إذن رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه ، وأنه لا اسلال ولا اغلال . (١)

وفي رواية الإمام أحمد في مسنده : ( قال رسول الله ﷺ : نعم ، من ذهب منا إليهم أبعد الله ، ومن جاءنا منهم ورددناه سيجعل الله له مخرجا ) . (٢)

قال المسلمون : سبحان الله ! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما ؟! فينا هم كذلك ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه : أن ترده إلي ، فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد ، قال : فو الله إذا لا أصلحك على شيء أبدا . فقال النبي ﷺ : فأجزه لي ، قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال بلى (فافعل) قال : ما أنا بفاعل ، قال مكرز بن حفص ، بلى ، قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ (٣)

- 
- ١- المغازي النبوية ، لابن شهاب الزهري : ٥٤-٥٥ ، وانظر : موسوعة السنة ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة الحديبية ) : ٦٨/٥
  - ٢- مسند الإمام أحمد ( المرجع سابق ) : ٣٢٦/٤
  - ٣- جامع الأصول في حديث الرسول ، لابن الأثير : ٢٩١/٨